الباب الأول

دوافع وأسباب استقدام الخادمة

يوجد عدد من الأسباب، والدوافع الخاصة، والعامة التي أسهمت في جلب الخادمات إلى منطقة الخليج، والتي صعب حصرها والإحاطة بها تحديدًا تحت أسباب بعينها، ولكن المتابع الفاحص لحركة التنمية الشاملة التي شهدتها منطقة الخليج قبل أكثر من عقدين يضع يده على عدد من العوامل والدواعي التي أسهمت بطريقة واضحة، وجلية في البحث عن خادمة أجنبية تعمل في البيت، وهذه الظروف والبواعث أسهمت بصورة مباشرة أو غير مباشرة،وربما هيَّأت الأرضية ووفرت الأسباب للقناعة بالبحث عن من يتولى مساعدة ربة البيت على الوفاء بمسؤولياتها في بيتها.

من هذه العوامل والأسباب العامة والخاصة ما يلي:

صاحب التنمية الشاملة زيادة الدخول المالية لشريحة واسعة من المجتمع، مما أملى وفرض استبدال منازل جديدة واسعة بالمنازل القديمة يصعب السيطرة عليها من حيث النظافة والصيانة والمتابعة بجانب زيادة توفير الاحتياجات والأغراض الشخصية من الملابس، والستائر، والسجاد، وغيرها فأصبحت الزوجة بمفردها غير قادرة على الوفاء بكل المسؤوليات المتوخاة منها فاضطرت الأسرة للبحث عن خادمة استجابة لمعطيات التنمية، وتلبيةً لمنجزاتها الملحة، وصار وجود خادمة بالبيت أمرًا لازمًا يعبر عن خير وشر التنمية الشاملة.

التنمية الشاملة في منطقة الخليج والتي شملت عموم شؤون الحياة

دفعت شريحة كبيرة من الزوجات إلى مواصلة تعليمهن أو العمل خارج البيت وصعوبة الجمع بين أعباء الوظيفة والدراسة وبين متطلبات البيت، والأسرة، حيث يجد المتابع أنَّ معظم أفراد الأسرة إنْ لم يكن جميعهم أصبحوا خارج أسوار البيت تبعًا لظروف التنمية ومتطلباتها؛ فالأولاد مثلاً في المدارس صباحًا ويساعدون آباءهم مساءً في أعمالهم الخاصة في عدد من المشروعات التجارية والزراعية والتي لازمت الطفرة والتنمية، وأصبحت من أهم إيجابياتها، فالزوج الذي يفترض فيه تولي جزء من مسؤوليات البيت وشؤونه وخاصةً متابعة مذاكرة الأولاد وواجباتهم المدرسية سعى لتعزيز دخله بأعمال أخرى مثل العمل في الزراعة، والتجارة، والبناء، وغيرها فأصبح معظم وقت الأب خارج المنزل يلهث خلف استثمار الظروف الراهنة لتعزيز دخله، وتحسين ظروفه المعيشية، واستثمار المواسم الحالية.

والزوجة هي الأخرى دفعتها الظروف الجديدة لمواصلة تعليمها، أو اللحاق مؤخرًا بالتعليم، ثم الالتحاق بالعمل فهذا بدون شك أسهم كثيرًا في تعزيز الدخل صاحبه فراغٌ في المسؤولية وأعمال منزلية كثيرة تحتاج إلى من يتولها ويعنى بها.

دخول الفرد الجيدة التي اقترنت بالتنمية لدي شريحة واسعة من المجتمع دعمت البحث عن تحسين جوانب الحياة المتنوعة وتجهيز البيوت بكماليات تنسجم مع زيادة الدخل وتغير الحياة فتم شراء سلع منزلية جديدة وتجهيزات كثيرة ترتب عليها مسؤولية خدمية إضافية، احتاجت إلى من يتولاها؛ لأنه من العسير على الزوجة بمفردها الوفاء بمتطلبات البيوت الواسعة المجهزة بهذه الكماليات.

رعاية الأطفال والقيام بشؤون البيت أثناء غياب الزوجة خارج البيت للعمل أو الدراسة يملي وجود من يعتني بالأطفال، ويقوم على شؤون المنزل من النظافة والتغسيل وربما المساعدة في إعداد الطعام.

رعاية كبار السن والمصابين بأمراض الشيخوخة المزمنة أو الأمراض الدائمة كالفشل الكلوي، أو السرطان، أو غيرها بجانب مسؤوليات الأسرة العادية التي تستهلك الوقت على حساب الاهتمام بتلك الفئة يدعم التفكير بجلب من يساعد ربة البيت؛ حتى تتفرغ لمسؤوليتها الأساسية، أو تساعدها في بعض جوانب من عملها.

رعاية الأطفال المعاقين عمومًا سواء كانوا من فئة شديدي الإعاقة أو الفئات التي تحتاج إلى تأهيل مهني وتقديم العون والمساعدة في توفير الرعاية المنزلية والتدريب على التأهيل للرعاية الاجتماعية وخاصة فئة الأطفال المصابين بأمراض تتعلق بالمخ والأعصاب، ممن لا يميزون أو يضعف تمييزهم لمن حولهم، ويحتاجون إلى راعية لصيقة ودائمة ومتواصلة؛ لكونه يخشى عليهم الإضرار بأنفسهم أو يخشى منهم أن يتعدوا على من حولهم.

الحاجة للخادمة في البيت خلال ظروف مؤقتة مثل تولي شؤون البيت عند ولادة الأم أو مرضها، حيث يتعطل أو يختل الوفاء بالمتطلبات المنزلية العادية من متابعة الأطفال الصغار، والعناية بهم، وإعداد الطعام، ونظافة الملابس والمنزل.

ولا ننسى طبيعة حجم الأسرة الكبيرة في منطقة الخليج الذي يغذيه وينميه حب الأطفال، وكثرة النسل، وغالبًا ما تكون الفترة

الزمنية بين كل طفل وآخر قصيرة جدًا مما يضاعف من حجم المسؤولية والرعاية؛ لوجود أطفال صغار يحتاجون غالبًا إلى متابعة لصيقة ورعاية خاصة ودقيقة، مثل هذا وغيره يدفع رب الأسرة تحت وطأة الظروف الطارئة للبحث عن خادمة مؤقتة تقوم بهذه الشؤون، أو تتولى بعضها، وربما يستمرأ الحل في معظم الأحوال، ويصبح وجود الخادمة أمرًا لا مناص منه حتى مع زوال الدوافع والمسببات وهكذا.

أسهمت أسباب كثيرة في استقدام الخادمات؛ تلبيةً وتجاوبًا مع كثير من الظروف والدواعي التي يصعب الإحاطة بها وتناولها مثل: اتساع حجم الأسرة، غياب الزوجة عن البيت لأي سبب من الأسباب، وجود مشاكل اجتماعية، كثرة المناسبات، وجود أعراف اجتماعية تستدعي فتح أبواب الضيافة لاستقبال الضيوف أو لغرض المصالحة بين المتخاصمين كرؤساء القوم ومشايخهم، وكذلك وجود نمو حضاري يصاحبه تطلعات خاصة يغري بعض الناس بإبعاد الزوجة عن الأعمال المنزلية؛ بغية المحافظة على راحتها وبشرتها وعدم إجهادها، وتخصيص العمل المنزلي لمن يتولاه طالما أن الظروف مواتيةٌ ومساعدة؛ وهذا طبعًا يتمشى مع رغبة الزوجة الساعية دومًا على المحافظة على جمالها ونعومة بشرتها وتفرغها لزوجها بصورة خاصة.

ويضاف إلى ذلك اتساع حجم وحاجة أفراد الأسرة وزيادة تطلعاتهم ومطالبهم على ضوء المداخل المالية الجديدة والتطور الذي صاحبها.

وهذا بدون شك يجعل المرأة تستمرىء الجلوس، وتقلل من

الحركة، وتعتقد بأنها وصلت إلى درجة عالية من السعادة تحت شعارات التمتع بالنعيم، وهي لا تدري بأنها تقتل نفسها بدون سكين؛ لأن الركون وعدم الحركة يساهم في ضعف وظائف الجسم بدرجة كبيرة، ويقلل من جهدها وفاعليتها وقدرتها على مكافحة الأمراض.

فإذا جلست المرأة الآن طواعية باختيارها فلن تفلح مستقبلاً بالنهوض لممارسة حياتها الاعتيادية إنْ لم تتدارك نفسها، وتستثمر النِّعم الكبيرة التي أنعم الله بها عليها من القدرة على العمل والحركة التي تنمي المدارك، وتزيد من قوة مناعة الجسم ولياقته، وقدرته على مكافحة الأمراض، ثم قوة الجسم والأعضاء الخارجية، وتكيفها مع الأعمال المنزلية المطلوبة إلى جانب إحساس المرأة بالسعادة الكبيرة التي تغمرها بعد وفائها وإنجازها لكل ما هو مطلوب منها.

توجد الخادمة في البيت تحت غطاء من المبررات الوهمية أو الأمراض الاجتماعية المنتشرة والتي قد يدفع إليها التقليد الأعمى والمحاكاة للغير أو حب المباهاة أو غير ذلك من الأمراض الاجتماعية.

وقفة:

وقفة مع عناء القيام بالمهام والواجبات المنزلية الكثيرة الذي صاحبت التنمية الشاملة، وما تركه من تغيير على تقاليد الحياة وأعرافها، فضغوط المسؤوليات المتنوعة وكثافة العمل والجهد المطلوب أسهم في إذابة جليد من التقاليد الماضية، دعت إليها ساعات العمل

الإضافية التي تنسجم مع زيادة في مساحة الجهد اللازم بذله للوفاء بالمطلوب؛ فأصبح البحث عن من يتولى القيام بمثل هذا الجهد الإضافي ضرورة مُلحة ضاغطة أملت زحف متطلبات التنمية على الخلفيات الثقافية وأصبحت الأسرة أمام تلك الظروف والضغوط تغض الطرف عن سلبيات وجود خادمة غريبة في البيت، وتتقبل فرضية الظروف الراهنة باعتباره أمرًا طبيعيًا من ضروريات الحياة.

مع العلم أنَّه في السابق كانت البيوت القادرة أو متوسطة الحال تستعين بخادمات محليات على جلب الماء للبيت من موارده، أو إحضار البرسيم للمواشي داخل البيت، أو تساعد أهل البيت على طحن الدقيق، أو تساعدهم على الوفاء بالمسؤوليات المنزلية بصورة مفتوحة.

وبمعنى آخر فإن الخادمة في تلك الفترة موجودة في المواطنات المحتاجات للعمل في بيوت تملك إمكانيات جيدة أفضل من غيرها.

وعمومًا فإن بحث الأسرة عن خادمة في مثل الأحوال التي تم الإشارة إليها سابقًا قد يكون لها ما يبرره؛ لكونها أمام ظروف ضاغطة ومُلحة، أو أنَّها تستسلم، وتستجيب للمظاهر والتقاليد التي تنشأ من تقليد الأقارب والجيران لبعضهم، فبعض النساء أصبحت تتباهى أمام مثيلاتها بأن لديها خادمة وبأنها ليست أقل من غيرها حيث إن وجود خادمة بالبيت يرمز أحيانًا في مفهوم بعض الناس العاديين إلى وجود عائلة قادرة ولها مكانة من نوع آخر ...؛ ولهذا نجدها تأخذ خادمتها في المناسبات، وتذهب معها إلى السوق؛ لتحمل لها أغراضها ولسان حلها يقول فخرًا وزهوًا لست أقل من غيري.

ومن هنا فإن كل هذه الدواعي مجتمعة أو متفرقة دفعت بالتفكير في وجود من يساعد ربة البيت على الوفاء بمسؤولياتها فكان الحل الوحيد يكمن في جلب خادمة للعمل في البيت تقوم بمساعدة ربة البيت على النظافة ورعاية المحتاجين للرعاية، وإذا كانت درجة الحاجة لخادمة متفاوتة الأهمية؛ فإنه أصبح من الأمور المسلم بها في ظل تلك الظروف وعدم التفريق بين مستوى الدافع ودرجة الحاجة فأقدمت كثير من الأسر على جلب الخادمات؛ لكي تساعد ربة البيت؛ لعدم وجود من يقوم بالجهد الإضافي، ويساعد الزوجة على الوفاء بمسؤولياتها الكبيرة أمام اتساع دائرة محيط عملها...

ويبقى أنْ نميز بين الحاجة الفعلية وبين البحث عن مبررات وهمية أو استخدام الخادمة للإضرار بمستقبل أفراد الأسرة الصحي والنفسي والاجتماعي.

آثار الخادمة على البيت:

للخادمة أثار إيجابية وآثار سلبية على البيت، والآثار الإيجابية معروفة فلسنا بصدد الحديث عنها؛ لكونها محصورة في المساهمة في تحمل مسؤوليات الخدمات المنزلية من الغسيل، والكي، والتنظيف، وغيرها وتخفيف أعباء البيت على المختصين به، كذلك رعاية المسنين، والمعاقين، والمرضى، والأطفال، ومَنْ في حكمهم، والمساعدة على تفرغ الفتيات لمواصلة التعليم والوفاء بمتطلباته والمساعدة في الظروف الطارئة.

فإذا كنا على بصيرة بإيجابيات الخادمة، فهل لنا أن نبحث في

سلبياتها على الجوانب الاجتماعية والصحية والنفسية والآثار التي تطول جميع أعضاء البيت.

فإذا كان وجود فوائد للخادمة من الأمور المسلم بها والمحصورة سلفًا، فإن وجود خادمة بالبيت يعني التأثير سلبًا على بعض ما نسعى إلى بنائه في بيوتنا من الإعداد وتأهيل فلذات أكبادنا للمستقبل؛ بسبب الاعتماد الغير مدروس على الخادمة، وهاجس القلق من تعاظم السلبيات المستقبلية مجتمعة يولد الحافز القوي للبحث عن بدائل مناسبة تعالج الفراغ والاستغناء عنها في ظل توافر الحاجة إليها.

نعم إنَّ وجود خادمة في البيت يعتبر مهمًا جدًا في ظل ظروف معينة ولكن وجودها بصورة مطلقة أو فتح العمل أمامها يهدد جانبًا مهمًا من العلاقات الاجتماعية الأسرية؛ لكونه يهمش دور الأم والزوجة ويخل بمصداقية العواطف والدفء الأسري والجوانب الصحية والنفسية؛ فإذا كانت الخادمة تساهم في سد النقص والخلل وتوفير الراحة؛ فإنها تؤثر أحيانًا في البنية النفسية والفكرية عند النشء.

ومن أجل أن نتدارك ذلك ونقيم درجة حاجاتنا الفعلية والبحث عن بدائل أكثر فائدة وأقل ضررًا لا بد أن نضع أيدينا على السلبيات الكثيرة التي نصحو عليها مع وجود خادمة بالبيت، والتي تتضح صورها حسب التالي:

سلبيات اجتماعية وسلوكية:

السلبيات الاجتماعية والسلوكية التي تنقلها معها الخادمة كثيرة،

opelkanal.com

ويتأثر بها على السواء الصغار والكبار، ولكن الأطفال أكثر من يتأثر بها بحكم قربهم من الخادمة، ولأنهم يقلدونها بدون إمعان أو تفكير أو رقيب، وتؤثر هذه السلبيات بصورة شاملة على معظم أفراد البيت حسب ما يلي:

الخادمة تنقل عاداتها وأعرافها الاجتماعية الغريبة عن مجتمعنا إلى من حولها، وخاصة الأطفال الذين تلتصق بهم بحكم قربها منهم بصورة مباشرة، ترضعهم شيئًا من مبادئها وسلوكياتها، ناهيك أن وجود الخادمة بالبيت يساعد على الاتكال وإهمال تدريب الفتيات على مسؤوليات المستقبل من الواجبات المنزلية من طهي الطعام، وتنظيم البيت، والكي، والغسيل، وسواه، ثم أن الوقت الفائض ربما تستثمره الزوجة أو أولادها وخاصة البنات بمحدثات هاتفية أو مشاهدة التلفاز لساعات طويلة ومفرطة، قد تنعكس آثارها على الحياة الزوجية بصورة شاملة، وتخلف تبعات يصعب معالجتها، لا سيما وأن الزوجة أول قدوة وآخر قدوة لفلذات الأكباد.

يؤثر سلبًا وجود خادمة في البيت على مستوى العلاقة بين الأم والأولاد حتى تكاد تموت، أو تذوب العلاقات الودية بين الأم وأولادها، وربما تصاب بالفتور؛ نتيجة ضعف عاطفة الأم وحنانها وإرساليات المودة والروابط الأسرية بين أفراد البيت؛ بسبب غياب الأم الموجودة، وضعف اهتمامها بأولادها واتكالها في هذه المسؤولية على أخرى؛ لا سيما وأن الأطفال يحتاجون أن ينهلوا من قربها الدفء والحنان، ناهيك عن بعض المشاكل الفردية التي تنجم عن التصاق الخادمة بالأطفال والتعلق بها والتأثر بكلامها وعملها وتعاملها.

للخادمة دورٌ نشط وكبير في نقل المعلومات من البيوت ونشر بعض الأخبار الصحيحة والمختلفة أو المفهومة بطريقة خاطئة، ويكون النقل وتغذية الأخبار والأسرار بواسطة خادمة من جنسها، أو يتم مع ربة البيت بصورة مباشرة أو مع زائرين، ومثل هذه النوعية من الأخبار تسيء إلى الاستقرار الاجتماعي الهادئ، وتنعكس خلفياتها السلبية على العلاقات الاجتماعية والودية التي تربط بين البيت الواحد والجيران والأقارب، وتؤثر سلبًا على المتعة والهدوء التي تنعم بها العائلة.

تغير الخادمة المستمر بخادمة أخرى تحمل طباعًا مختلفة وتحتاج إلى فترة طويلة للتدريب، فكل سنتين أو أكثر قليلاً تأتي خادمة أخرى لتضفي تعبًا للأسرة، فما أنْ تتدرب الأولى وتحسن العمل والتعامل، وتتكيف مع الأسرة، وتذوب الفوارق والمفاهيم الخاطئة، ويقبل كلا الطرفين على الآخر، إلا وتأخذ الخادمة بربط أمتعتها للسفر، فتصاب الأسرة بمرارة المتاعب المستقبلية خاصة وأنها أهلت خادمة للعمل، فما أن بدأت تقطف ثمار تعبها إلا واقترب موعد سفرها؛ ناهيك عن ما تحمله كل واحدة من مفاهيم وشخصيات وجوانب صحية واجتماعية مختلفة تنعكس على الأسرة.

الخادمة عضو من أعضاء الأسرة عليها واجبات ولها حقوق، ورب البيت مسؤول عن المحافظة عليها ولكن الاختراق إليها وارد بحكم أنها امرأة ضعيفة، وتمتلك غريزة، ولها مشاكل نفسية ناجمة عن شعورها بالغربة ونقص الدفء العائلي، وتحملها تبعات الخلل التراكمي بالمنزل، فهي الركن الضعيف الذي يرمي عليه كل خلل فيه

فلن تجد ما يساعدها على تفريغ شحنات همومها وإفرازات متاعبها وردود فعلها المخنوقة إلا أن تطرق منافذ قد تسيء إلى مخدوميها أكثر من نفسها، فقد تتهم أحد أعضاء البيت مثلاً بأنه تجنى عليها، أو ضربها، أو راودها عن نفسها، أو أنه عمل معها فعلاً مشينًا.

وإذا كان ذلك ممكنًا ووارِدًا فإنه بنفس الوقت نادر الوقع لكنه قوي التصديق؛ فمن يكذب امرأة بمثل هذه الدواعي فكيف بمن يعيش مثل ظروفها؟

سلبيات صحية:

وجود امرأة غريبة في البيت تحمل معها عادات وتقاليد وأجواء مغايرة وخلفيات بيئة مختلفة تنعم على البيت بجوانبها الإيجابية، وتغزوهم بأرضيتها السلبية المتعلقة بكل أوجه الحياة، وخاصة الصحية منها بصورة مباشرة مثل كونها تحمل بوادر أو أرضيات لبعض الأمراض المعدية، أو لبذورها لا سيما وأنها تختلط مع أفراد الأسرة، وتعتبر أحد أعضاء المنزل الواحد، وتستخدم كل المنافع فيه، وتتنفس مع أفراده في جو محدود واحد، وتختلط معهم، وتحتك بهم في مساحات صغيرة.

فقد تكون مصابة بداء خطر، وقد يكون من الأمراض المعدية فالفحوص المستخدمة عادة لغرض الاستقدام ليست في أغلب الأحوال دقيقة، أو ربما يكون المرض أثناء تلك الفحوص مختفيًا أو ينشأ لاحقًا تبعًا لبيئتها تكون أرضيات المرض وبواعثه موجودة.

وقد يترتب على وجود الخادمة بعض العلل الصحية بصورة غير

obeikandl.com

مباشرة فقيام الخادمة بشؤون البيت بدلاً من أعضائه يدفع أفراد البيت إلى الاعتماد عليها والركون إلى التكاسل والخمول، فتصاب الزوجة نتيجة قلة الحركة بأعراض الشيخوخة في وقت مبكر وزيادة الوزن والترهُّل وداء العصر مثل السكري، والضغط، وغيره من الأمراض المنتشرة.

فإذا قل جهد الزوجة وقلت نتيجة لذلك حركتها ترتب عليها قلة كفاءة الأجهزة الداخلية المعنية بحماية الجسم ووقايته من الأمراض، وربما أصيب جهاز المناعة بترهل وخمول مثل جسمها.

فمن نعم الله على البشر قاطبة أن الحركة والنشاط اليومي يمنح القوة، والحيوية، والنشاط، والحصة النفسية، والفائدة الخدمية، ويزيد في ضغط الدم، ونشاط القلب، وقوة كافة الأجهزة الداخلية والخارجية.

سلبيات نفسية:

وجود المرأة في فراغ طويل، نتيجة قيام الخادمة بجل عملها يدفعها إلى الانزواء والوحدة ثم التدقيق في معظم الأمور العادية التي يضاعف بدون شك من اجترار المسائل والمشاكل الصغيرة، فتبني من خلال المراجعة المستمرة لأمر ما قصورًا من الألم والغضب واللوم؛ إلى جانب أن المساحة الفائضة تصرف في قضاء الوقت بدرجة مفرطة أمام شاشة التلفاز أو مع سماعة التلفون، وما يصاحب ذلك من الشعور بعدم القدرة على مجاراة الغير مما يقودها إلى كثرة الهموم والإحساس بالضيم، وشعورها بأنها تعيسة فلا تنعم بمتعة الجلوس؛ لأنها في معظم أوقاتها جالسة، وتفقد الحياة بهجتها وجمالها ومتعتها.

وبسبب المساحة الكبيرة من الفراغ تجتر ربة البيت همومها ومشاكلها، ويضيع كثير من وقتها في اتصالات وهواجس كثيرة، تنعكس آثارها على الحياة الزوجية حيث تبدأ الطلبات والشعور بابتعاد الرجل عن البيت والوحدة، ثم تبدأ المحاسبة والتدقيق والطلبات الزائدة وطلب الخروج هنا وهناك، مما يفرز مشاكل قد تنتهي بتعاظم المشاكل، وربما وصلت للطلاق؛ ولا شك بأن جزءًا لا يستهان به من المشاكل الأسرية نابع من الاعتماد على خادمه في البيت بصورة كلية.

فسعادة ربة البيت تستمدها من شعورها بالوفاء بدورها في الحياة، وتأديتها رسائلها رسالة الأمومة، والزوجة، والأخت الكبيرة، وملكة عرش الأسرة، وتحقيق الإنتاج المناسب والرضا عن الذات بإنجاز الواجبات.

ولكن مع وجود خادمة تنشأ المشاكل النفسية التي تنمو وتكبر مع هاجس الأوهام والشعور بالنقص ومتاعب الجسم المثقل بهمومه ومشاكله الوهمية، وربما أصيبت الزوجة بداء الوهم بالأمراض الصحية التي قد تحس بها فعلاً أو أنها لون من التدقيق بالذات، وتلمُّس المتاعب أو صور من جذب الانتباه إليها، وكسب من حولها وربما طرحتها الأمراض كنتيجة حتمية لقلة حركتها.

سلبيات أخرى:

تتحدث وسائل الإعلام المتعددة بين كل فترة وأخرى عن قصص ومواقف سلبية تقوم بها الخادمات، كما يتناول الناس مثل تلك الحكايات بصور متعددة، ولكن هذه القصص على قلتها تشكل

هاجسًا مقلقًا عند أفراد بعض الأسر، وتصبح الأسرة في حالات طوارئ عند كل موقف أوشك ومن تلك المواقف السلبية المتوقعة:

وضع الخادمة أشياء مضرة في الطعام لعموم العائلة مثل كلوركس، أو صابون، وشيئًا من المخلفات الشخصية، ودم الدورة – أكرمكم الله – ويكون للأطفال نصيبهم الأوفر عند الرغبة بالإضرار بهم، وخاصة عند توتر الجو بين الخادمة وأحد أفراد الأسرة فإن أيسر الثغرات عند الخادمة هو الطفل الذي بين يديها، فقد تنتقم منه بحيث تضع له ما يضره في الحليب أو تنظفه بالماء المغلي، وربما تفننت من صور الضرر ما لا يخطر على بال.

مواجهة أحد أفراد البيت بآلات حادة أو الهروب من البيت تحت أي مبرر صحيح أو مختلق.

انتقال الأمراض المعدية مثل مرض الإيدز، أو السُل الرؤوي، أو التهاب الكبد الفيروسي، والأمراض الجلدية والتناسلية الكثيرة، وغيرها من الأمراض.

دور بعض الخادمات بالمساهمة على انتشار السحر، والشعوذة، والمفاهيم الخاطئة على الدين، ونشر العادات السيئة بالمجتمع.

قيام الخادمة بالسرقة، أو المساعدة عليها، أو إتلاف الأثاث والأجهزة بقصد.

ومن السلبيات: التمارض والإدعاء أنها مريضة، أو تقمصها وتصنعها بأنها عصبية أو تعاني من أمراض نفسية، وربما تؤدي تلك الأدوار بصور مقنعة حتى تزعج الأسرة، وتفرض عليهم طلباتها، وتدعوهم لتحقيق غاياتها.

الخلوة مع الخادمة ومخاطرها المتعددة، لا سيما إذا أخذ بالاعتبار بأن الفرد من الجنسين لديه ميول فطرية نحو الآخر تؤججها الشهوة والمتعة المتوقعة.

للخادمات مواقف كثيرة وغريبة يصعب ذكرها والإحاطة بها ومنها ما يصعب التحدث عنه، فمن المواقف المتعلقة حول رغبتها بمخاطبة شخص من بني جلدتها، فإنها تدعي مثلاً بأنه زوجها، أو قريبها مثل عمها أو أخيها، وربما تحضر مستندات مزيفة، وإذا لم تستطع مقابلته أو مكالمته؛ فإنها ربما تلجأ إلى وضع خطاب له في إحدى زوايا المنزل في الخارج أو أسفل صندوق الزبالة بالشارع أو غير ذلك.

يقول شخص: كنت أقوم بعمل ساعي البريد لخادمتي التي كثيرًا ما كانت تراسل صديقها على أنه أخوها في مدينة أخرى في بلدي، ولم أعرف ذلك إلا بعد فترة زمنية، وبعد أن كاد الفأس أن يقع على الرأس كما يقولون، حيث أطمئن الجميع إلى سذاجتي – ويا غافل لك الله – ثم حضر أخوها المدعى أثناء إجازة العيد لزيارة أخته والجلوس معها بمفردهم في غرفة جانبية وهي غرفة الملحق وجلسا معا على إنفراد.

عند هذا الحد طلب مني أحد أفراد العائلة أن أتأكد من بطاقة إقامته وهل يحمل نفس الاسم وعندما طلبت فحص الإقامة الخاصة به تغير وجهه قبل أن أكتشف بأنه يحمل اسمًا مغايرًا لاسم الخادمة، واتضح لنا بأن هناك خطة حبكت، وأعدت بعناية، ولا أريد أن أطيل فقد تم معالجة الموضوع بطريقة مناسبة تناسب الموقف، وتدعوه أن لا

يكرر هذا الموقف مرة أخرى وقد التزمنا بعد هذا الموقف على مبدأ الوقاية في المستقبل خير من المعالجة؛ تفاديًا وتجنبًا لمثل هذه الأمور، وأغلقنا باب مراسلة الأقارب داخل البلد أو رؤيتهم؛ تجنبًا لمثل هذا الموقف، ولا ندري هل يمكن أن ترسل رسالة إلى بلدها وهناك تحول إلى شخص ما في نفس بلد الإقامة، هذا ممكن وموجود ولكنه قليل، ولا يجب أن نقفل الجوانب الإنسانية؛ خوفًا من هذا التصور، فالأمر لا يستدعي كل هذه الحيطة المضرة؛ لأننا مطالبون بالأخذ بجانب الوسط.

وقفة وتحليل:

من الأمور المسلم بها أن الخادمة تنقل الخير والشر للبيت معًا، ومن الصعب حصر سلبياتها وإيجابياتها، ولكن من المعلوم أنها أفضل من تعرف البيت وأسراره، وتعرف تحركات الأسرة ومن الممكن أن تسرق من البيت، أو تساهم وتساعد على سرقته، وذلك بتوفير المعلومات اللازمة.

إلى جانب أنَّ عدم إعدادها وأهليتها لخدمة الأطفال يؤثر سلبًا على تغذيتهم، ورعايتهم، والعناية بهم، فربما تسيء إليهم عند تنظيفهم وإرضاعهم والعناية بهم من حيث تدري أو لا تدري.

ويلاحظ أن استخدام بعض الأسر لخادمة أو لأكثر في المنزل له آثاره على جميع الجوانب التي سبق الحديث عنها كما أنه يؤثر من الناحية المادية التي يمكن استثمارها في بناء الأجيال، وتعزيز قدراتهم، أو تقديمه في أعمال الخير، ولا ننسى أن وجود الخدم يساعد على نشر المفاهيم الخاطئة والأخلاقيات المنحرفة، لا سيما إذا كان يوجد

خدم من الرجال، ومثل هذا وغيره يوفر المناخ أمام فتح احتمالات أخرى غير متوقعة تدعو إلى فرض ضوابط تنظيمية واحترازية يجب مراعاتها.

فربة البيت يجب أن تضغط على أعصابها، وتكون هادئةً؛ حتى لا ينعكس سوء تعاملها على فلذات أكبادها، فتتربص بهم الخادمة؛ لتنتقم منهم بأي طريقة، والرجل على الرغم أنه في بيته وبين أهله فإنه يشعر كأنه غريب فلا يستطيع أن يزاول طبيعته مع أهله بتلقائية وراحة، وسيضطر إلى ضبط كلامه ولباسه وتعامله؛ ناهيك عن أن وجود الخادمات مصدر تعب وقلق منهن وعليهم، وهاجس توتر ومدعاة لقيام علاقات غير مشروعة، واحتمالات من المتاعب غير متوقعة.

ولكي نحسن الحماية والوقاية معًا لجميع الأطراف المعنية يفضل ترتيب منام الخادمة بحيث يكون آمنًا وبعيدًا عن الشكوك والملابسات بعيدًا عن الشارع العام وغرف الأولاد الذكور وحرية التحرك بدون رقيب وحسيب.

لأن الشهوة بجانب الغريزة القوية عند الطرفين مع الخلوة ووساوس الشيطان وتغريره وإيماءاته يشعل النار بسرعة، ويملي أخذ الحيطة والاحتراز؛ تجنبًا لوقع ما يفترض تجنبه، ومن الممكن تخصيص موقع معزول للخادمة عن محيط الرجال، لا يمكن تجاوزه من الطرفين بأي حال من الأحوال، وفرض ضوابط دقيقة وحازمة لغرض الوقاية، خاصة وأن الأطراف الذي يسعون إلى تحقيق مآربهم يستغلون خروج

الزوجة للعمل أو للزيارات أو للسوق ثم يصبح الجو خاليًا والظروف مواتية والخلوة بوجود الشيطان توفر ما لم يخطر على بال.

لذلك ينصح المختصون بتوفير الجوانب الوقائية الفاعلة في جميع الأحوال وعند الخروج من البيت يتم وضع الخادمة عند الجارة أو القريبة التي تمتلك الحاسة السادسة والقادرة على حمايتها أو يفترض بربة البيت اصطحابها معها؛ حتى لا يتيح وجودها في البيت بمفردها التفرد بها.

موقف ليس في الحسبان:

ترصد كاميرا الوقائع والتجارب صورًا من مشاكل الخادمة غير المتوقعة، والتي لم تكن في الحسبان مثل ما يلي:

اتساع دائرة عمل الخادمة وسيطرتها على البيت، فالملاحظ يجد أن دائرة عمل الخادمة عند بداية عملها يكون محصورًا غالبًا على أعمال النظافة والغسيل، ثم يتسع تدريجيًا، ويكتسح مسؤولية ربة البيت، حتى تستولى الخادمة على جميع شؤون البيت وربما تستولى بجانب ذلك على أشياء أخرى في صدور المحيطين بها، وفي مثل هذه الحال يتطور دورها من عاملة إلى ربة بيت فاعلة ومهمة تحتل مكان ربة البيت الأصلية، وتصبح الآمر الناهي ثم تنال من الأهمية بحجم دورها وموقعها.

تحدث أحد الحاضرين لمناسبة زواج مشاركًا في نقاش يدور حول ما للخادمات وما عليهن ... فقال لقد استدعت الظروف استقدام خادمة، ولم أكن أرغب في إحضارها؛ لما أسمعه من قصص ومتاعب

وخسارة متنوعة بجانب ما سوف أدفعه من تكلفة إضافية تُؤثر على ميزانية البيت، ولكن تحت وطأت الظروف الطارئة والعهود المتكررة من قبل زوجتي أن يقتصر علمها على جوانب بعيدة عن غرف النوم والمطبخ ورعاية الأولاد واستقبال الضيوف وغيرها استسلمت، وقررت أنْ أجرب متانة العهود، وأقيم عن قرب وجود خادمة في بيتي؛ لعلي أنجح فيما أخفق فيه الكثيرون.

يقول الجار متابعًا لحديثه: بالفعل تم الالتزام أولاً بتخصيص أعمال محدودة للخادمة وحصرها في دائرة معينة حسب اختصاصها، والهدف من وجودها، وسعدت بوجود خطوط حمراء يحظر عليها تجاوزها، فلا يجوز لها بحال من الأحوال أن تعمل فيها؛ ولكن مع مرور الأيام أخذت تتآكل العهود وتتلون الخطوط الحمراء، وتغير إلى بيضاء ناصعة حسب دواعي الأحوال، اليوم مشغولون عندنا مناسبة، اليوم أنا مريضة، اليوم الخطوط الحمراء لم يعد لها قيمة، بل نسيناها أمام تنازل الزوجة عن معظم مسؤولياتها للخادمة وسعادتها بوجود من يحل مكانها، ويقوم بإدارة دفة البيت نيابة عنها، وأمام هذا الانقلاب اللامحدود لم تفلح نصائحي، ولم تجد اعتراضاتي المتتابعة وخاصة بعد أن اكتشفت أن الخادمة تقوم بنظافة غرفة النوم، مما دفعني أن أقول لزوجتي ساخرًا: لم يبق للخادمة إلا أن تمنحينها غرفة نومي؛ لتكون زوجة بديلة عنك.

قصة:

ذكر لي زميل عمل قصة سمعها من جاره بالرياض يقول فيها: لقد استقدمت خادمة للعمل في البيت، وذات يوم كانت عند أخي

مناسبة زواج فذهب أولادي جميعًا مع ابني إلى منزل عمهم وبعد الذهاب بربع ساعة تذكرت زوجتي بأنها نسيت أخذ ذهبها معها، فعادت للبيت؛ لكي تأخذه وعندما دخلت غرفة النوم وجدتني مع الخادمة على السرير في وضع ملفت للنظر، فانصرفت مسرعةً وطلبت من أولادها الدخول للبيت على عجل مولولة ومستغيثة بمن حولها قائلة: تعالوا شاهدوا أباكم، كيف يعمل مع الخادمة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، كيف ترضى لنفسك هذا الإثم؟ وأنت رجل مسلم كيف تقبل هذه المهانة مع خادمة في ظل غياب زوجتك؟

يقول الزوج تسمَّرت في مكاني، وبحثت بين أولادي من يدافع عني، ولكني وجدت لسان حالهم إن لم يكن مقالهم يؤنبني، ولهم الحق فأنا رجل مسلم وأخاف الله، وبنفس الوقت فأنا قدوة لأولادي، ولكن الحقيقة لم تكتمل فصولها بعد، فعند اكتمال وصول أولادي من السيارة رجوتها خفض صوتها وعتباها الذي زادت وتيرته وخاصة أنها وجدتني مكوم في فراشي كالقرفصاء مما أوحى لها منظري أن الخوف دحرجني فأصبحت كورة متجمعة، ولكني لم أستطع تحمل نظرة الأولاد وحزنهم علي في مشهد أليم كهذا ... كيف يرون والدهم مقترفًا ذنبًا كبيرًا يصعب اغتفاره؛ ولكني لم أتحمل ألم الانتظار الطويل أمام نظرات أولادي القاسية التي كادت أن تسطو على قلبي، فتوقف حركته، فاندفعت إليهم بقوة وشجاعة، وأخذت أفحصهم جيدًا حتى توقف نظري عند زوجتي، فقلت لها: كفي عن هذه الإهانة التي لا تليق بي ولا أقبلها على نفسي، ثم نهرتها بشدة، وقلت لها: اخفضي صوتك إنها ليست خادمة بل هي زوجتي مثلها مثلك، وسيكون لها

ليلة خاصة بها منذ الآن ثم أسرعت، وفتحت الخزانة الصغيرة بالمجلس، وأحضرت عقد الزواج، وقلت لابنها اقرأ عليها ما في هذا العقد.

تردد أبي في ظل هذا الجو المشحون ولكنه تحت إلحاحي الشديد قرأ العقد كاملاً، ولم يكد ينتهي حتى أكملت نهايته صوت زوجتي التي سقطت على الأرض، وأخذت تنتحب وتبكي، وتقول: ليتني ظللت جاهلة؛ حتى تقوم على الأقل بخدمتي بدلاً أن تشاركني في زوجي.

بعد نهاية حديثه قلت له هل يجوز أن يضع زوجته الجديدة خادمة لزوجته الأولى؟ قال: ربما يجوز ذلك إذا كان برضاها وقبولها ومباركتها، فقد اشترط عليها ذلك قبل الزواج، وأخبرها بأنها ستعيش مع أولاده كخادمة لمدة ثلاث سنوات على الأقل، وسيكون زواجها منها سرًا أمام أولاده ولكنه كان مطلعًا عمه وأحد أصدقائه بذلك؛ خوفًا من الموت، وحتى لا تضيع حقوقها عند وفاته.

علمًا بأن المعلومات المرصودة بإقامتها تدل على أنها زوجة وليست خادمة.

وقفة وتحليل لنفوذ الخادمة:

وحصولها على وسام سيدة البيت الجديدة:

اللافت لنظر كل متابع لحيز نفوذ الخادمة وسيطرتها على شؤون البيت يجد أنها تستحوذ على مساحة كبيرة من المسؤوليات والأعمال بصورة تدريجية، بدأ منذ قدومها وحتى رحيلها مما يخول لها التحكم بزمام الأمور في البيت وامتلاك ورقة الضغط القوية بيدها والتلويح بها عند الحاجة؛ لتحقيق مطالبها أو غض الطرف عن متاعبها.

لنتابع سويًا بدايات عمل الخادمة، وكيف استولت برغبتها أو بتخلي غيرها من مسؤوليته، فكثير من الخادمات تجد أنها عند وصولها تكون ضعيفة وشبه مهمشة ومحصورة في دائرة ضيقة؛ لأن ربة البيت ما زالت تتذكر أنها آلت على نفسها وأخذت عهدًا بأن تضعها في دائرة صغيرة وتحصر عملها بنظافة البيت وغسل الملابس، وربما غسيل الأواني، وتضع أمامها خطوطًا حمراء يجب التوقف دونها وعدم تجاوزها كدخول المطبخ وغرف النوم، واستخدام الهاتف، والعناية المباشرة بالأطفال، ونظافة ملابس الكبار وخاصة الزوج وغيرها.

وبالفعل يقتصر عمل الخادمة في البيت على أعمال معينة، ولكن مع مرور الوقت تصاب الزوجة بداء النسيان وتستمرئ الراحة لا سيما وأنها تجد حولها من يقوم بمسؤوليتها، ثم يأخذ عمل الخادمة يكتسح مساحة ربة البيت حتى تصبح ربة البيت دمية مجمدة خالية من الأحاسيس، تتجاذبها الهموم، وتتبوأ الخادمة في موقع سيدتها، وتصبح الآمرة الناهية، ولا يبقى سوى أن تحل مكان الزوجة في غرفتها، وقد يعتقد البعض أن هذا القول لون من المبالغة، ولكنه الواقع.

دعونا نقيم حدودًا ومساحة لكل خادمة تصل لمخدوميها ثم نقيس حدود عملها بعد سنة أو أكثر لنجد أنها دخلت المطبخ وأصبحت تطبخ الطعام، وترد على المكالمات، وتقوم بدور المربية، وتقدم الوجبات للأولاد وللزوج بل تقوم بنظافة غرف النوم أحيانًا، وربما تقدم الوجبات للضيوف حتى إن كثيرًا من الأمور التنظيمية تتولى تدبيرها والاهتمام بها، ويضطر الجميع للاستعانة بسيدة البيت الجديدة.

وأمام هذا التحول السريع في مواقعها ومكانتها تصبح هي الكل في الكل كما يقولون، ولذلك يكاد يصبح البيت عند سفرها مهجورًا، ويعم الحداد على بعدها بحكم مكانتها ودورها الكبير.

وطالما أن الحديث يعكس صورًا من الواقع السيئ في حياة كثير من الأسر فهل نلوم الخادمة عند سفرها في ظل الفراغ الذي تتركه؟ أو نلوم الزوجة التي تراخت عن مسؤوليتها ونسبت خطوطها الحمراء؟ أم نحاسب الزوج الذي حنى رقبته كثيرًا، وسلم قيادة البيتي ومن فيه لمن يملك زمام الأمور ويستحوذ على اهتمامهم ويلبي كثيرًا من احتياجاتهم؟ حتى حلت بجدارة مكان الأم الرؤوم، والزوجة الحنون، أو هوت بالأسرة في مستنقعات عميقة ولم تفق الأسرة إلا على أخبار يصعب سماعها والتسليم بها جملة وتفصيلاً سواء كانت مختلفة أو صحيحة.

طبيعة التعامل مع الخادمات:

يتفهم المتخصص والمدقق دواعي كثرة الخادمات العاملات في البيوت الخليجية مقارنة ببلدان أخرى مجاورة، فلا تكاد ترى منزل معلمة أو موظفة إلا وفي بيتها خادمة ومع ذلك، فإن معظم الناس — ولله الحمد — في هذه الدول يراقبون الله في هؤلاء النساء، ويحسنون التعامل معهن، ويتصورون لو كان أعز الناس من أهلهم في مواقعهن.

ولكني ينبغي أن نمعن النظر ونسبر الخلل؛ لنعرف بأن الأحكام الحسنة والسيئة لا تصدر بصورة مطلقة، فمما تجدر الإشارة إليه أن تعامل فئات المجتمع مع الخادمات متفاوت ومختلف حسب طبيعة

وقناعة المتعاملين معهن، ومستوى نظرتهم للخادمة، أو مستوى تربيتهم وارتباطهم بدينهم.

فإذا كان من الأمور المسلم بها وجود أسر كثيرة تتعامل مع الخادمة على أنها واحدة من البيت تحافظ عليها، وتحس بوجودها وعواطفها، وتصبر على متاعبها؛ لكونها إنسانًا يحمل مشاعر وأحاسيس تصيب وتخطئ.

لهذا فإن معظم الأسر تغفر للخادمة زلاتها وتقصيرها، وتتلمس لها الأعذار؛ لكونها تشعر بآلامها وبعدها عن أهلها ووطنها، وما يتركه عليها ذلك من متاعب نفسية قد تسيء إلى ما بين يديها، فتكسر أو تنسى أو تهمل أشياء بدون قصد منها؛ فهذا النوع المتسامي من التعامل يخضع لنوعية الأسرة ودرجة التزامها الحقيقي بالقيم الإسلامية.

ومن نافلة القول فإن معظم الناس لا يحتاجون إلى توصية لزيادة الاهتمام بالخادمة وتقدير ظروفها؛ لكونهم يشعرون بأنها عضو نافع من أعضاء الأسرة، فيتعاطفون معها، ويغمرونها بالود، والمساعدة، والهدايا أحيانًا من الملابس، وغيرها، ويعولون أن هذه المعاملة الحسنة ستترك بصمة مضيئة في قلبها من حب المسلمين ثم حب الإسلام لا سيما وأنه حقها الذي شرعه ديننا الإسلامي لها.

وبهذا الخصوص سمعت بأن شخصًا عنده خادمة عملت خمس عشر سنة بأمانة وإخلاص ثم أصيبت بتعب أعاقها عن تأدية عملها في خدمة كفيلها مما دفعه إلى استقدام خادمة أخرى ولكنه أبقى

الأولى؛ وفاء لحسن خلقها، وطيب تعاملها، واعترافًا بدورها، واستمر على تسليمها راتبها الشهري وخدمتها، وكأنها فرد من عائلته، وأضفى عليها وسامًا بلقب جميل أخذت كل العائلة تدعوها به وهي العمة ولم يقف عند هذا الحد بل أنه أوصى في وصيته بعد وفاته بحسن التعامل معها وعدم إنهاء عملها وتسفيرها إلى بلدها بدون رغبتها والمطلع على وصايا الأهل في السابق يلاحظ حجم الوفاء الذي يجنيه المعتق، ويحصل عليه من معتوقه في حياته ومماته حيث يقوم العم بإكرام معتوقه، ومساعدته على مواصلة الحياة بنفسه، كما يوصي له بشيء مناسب من المال بعد وفاته وحسن التعامل والوفاء معه وتظل العلاقة الوثيقة والأخلاق الكريمة تتواصل بين الطرفين، فالخادم المعتق يظل يعترف لعمه بالعمومية، ويتفانى في خدمته عند الحاجة، ومثل هذه المسالك الحميدة والأفعال الطيبة والعطرة يندر وجودها في هذه العهود المتأخرة الذي أصيب بعض أهلها بالإفلاس الأخلاقي، وأصبحت الأمور توزن بمكاسبها المادية، وسيطرت فيه الماديات على حياة كثير من الناس، وأصبحت هي المحرك الوحيد لتوجهاتهم دون منازع.

وفي الجانب الآخر يوجد بعض أفراد الأسر الذين يتعاملون مع الخادمات بأساليب قاسية وسيئة وربما تتأخر في دفع استحقاقاتها المالية أو تسيء إلى صحبتها وتعاملها بخشونة وجفاء وهذا يعود إلى طبيعة الأسرة ومعدنها ونظرتها الدونية للخادمة، وربما هذا نابع من طبيعتها، فكل إناء بما فيه ينضح ...

تعامل المخدومة مع الخادمة:

كيف تتعامل المخدومة مع خادمتها، وعلى أي أساس يكون

تعامل المخدوم مع خادمه، إذا ما وضعنا في الاعتبار جانبين مهمين، وهما أنَّ كل طرف منهما له حقوق وعليه واجبات، ولكن هل يحسن كلاهما التعامل مع ماله وما عليه؟ أم ستتأثر حسب الاعتبارات التربوية والبيئية والثقافية، فالمرأة الناضجة مكتملة العقل والدين سوف تتعامل مع خادمتها بخلق قويم، في حين أن المرأة فارغة العواطف والمشاعر عديمة الإحساس والمبادئ تدير ظهرها لكل منطق سليم وخلق قويم، وتتعامل مع مخدومتها بأساليب بليدة، تنبئ عن الفقر الخلقي والنظرة القاصرة المتسوحاة من الماديات فقط، حيث تحب أن تثبت لذاتها ولمن حولها قيمتها ومكانتها بإذلالها لتلك الخادمة الضعيفة.

وعلى الرغم من أن العينة السيئة بهذا المفهوم نادرة جدًا إلا أن الدواعي تستلزم ذكره عند الوقوف على أنواع المخدومات حسب ما يلي:

مخدومة تلتزم عند تعاملها مع خادمتها بالمنهج الرباني، ولا تحيد عنه بأي شكل من الأشكال، ومخدومة تضع الخادمة في مقدمة اهتماماتها؛ لكونها ضعيفة وغريبة، فتحس بأنها أمانة بين يديها، وتخاف الله فيها وتدعوها بأحب الأسماء إليها يا بنتي يا أختي يا عزيزتي، ومخدومة تتعامل حسب أصلها ومنبتها ومعدنها، ومخدومة تجمع عند تعاملها بين تقواها وورعها الديني وبين طبيعتها الأصيلة ونبتتها النظيفة واتباع منهج الإسلام من القيم الإنسانية الرفيعة،

وتتخيل نفسها دائمًا في مكان خادمتها عندما تتبدل الأحوال، وتصبح كل واحدة في مكان الأخرى. ألا يدفع مثل هذا إلى حسن التعامل مع الخادمة ومراقبة الله في السر والعلن؟ ثم أليس لهذه النعمة الكبيرة حقها من الشكر والدعاء؟ أن تكون المنزلة في الآخرة أفضل من الدنيا.

مخدومة سيئة؛ لكونها غير ناضجة وغير واعية، تتعامل مع من حولها في غياب للعقل والحس كأنها بلهاء مغرورة متباهية، ومخدومة تنفس عن ذاتها من خلال خادمتها؛ لكونها الركن الأضعف، ومخدومة تستمتع من خلال أوامرها الصارمة العاتية الزاجرة المؤنبة، ومخدومة تبدأ بالهدير حول خادمتها، فتنهرها بأساليب قذرة، وتكيل لها أصناف النعوت القاسية، وخاصة عندما يكون حولها زوارٌ؛ لتشعرهم أنها قوية ولها هيبة تتباهى أمام زوارها معتقدة أنها ستكون في محل إعجابهم، ولا تدري المسكينة أن جلهم – إن لم يكن كلهم – سيرحم تفكيرها وسذاجتها؛ لكونها لم تصن الأمانة، وتحافظ عليها، وهي بهذه المستوى من التعامل تقدم نفسها للآخرين بكونها شخصية نتنة وعفنة.

ولا بد أن ندرك أن أنواع المخدومات الذين يتمتعن بخصال عظيمة كثيرات، ويصعب الإحاطة بتلك الأنواع لا سيما وأن ما ينطبق على الجميع قد ينطبق على واحدة من حيث الالتزام بالصفات العالية والأخلاق الرفيعة والتعامل العادل.

ولا ننسى أن المخدومة قد يتغير أسلوب تعاملها مع خادمتها، وقتيا فينحرف قليلاً ولكنها كثيرًا ما تتدارك، فتندم، وتتأسف

لخادمتها.

وكل نوع مما ذكرنا عليه أن يختار النوع الذي يحب أن يتعامل معه، فإذا اخترت واحدة فكوني هي في تعاملك مع من أحوجهم الله إليك، حتى لا يحوجك الزمان إلى الآخرين إلى مخدومة ذليلة فتذلك.

ولا شك أن كثيرًا من المخدومات يتمنين أن يكون رصيدهن في الآخرة كبيرًا ولا ترضى أي منهن أن تأخذ خادمتها من حسناتها، أو أحدٌ غيرها، ويظل لسان حال الجميع مناديًا ومتمنيًا أن يكون رصيدهم في الآخرة عند رب العالمين كبيرًا وأن يكون لهم أكثر مما عليهم.

من الكتاب والسنة حول التعامل:

من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ **[الزخرف: ٣٢]**.

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ **[الحجرات: ١١]**.

وفي الحديث الشريف:

قال أنس: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ فخرجت أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك فقال: «**يا أنيس أذهبت حيث أمرتك**» قال: قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله قال أنس: «لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشيء صنعته لم فعلت كذا وكذا أو لشيء تركته هلا فعلت كذا وكذا»[(١)].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال: رسول الله ﷺ: «**إذا صنع لأحدكم خادمه طعامه، ثم جاءه به، وقد ولي حره ودخانه، فليقعده معه، فيأكل فإن كان الطعام مشفوهًا قليلاً فليضع في يديه أكلةً أو أكلتين**»، قال داود: يعني لقمة أو لقمتين [(٢)].

عن معاوية بن سويد قال: لطمت مولى لنا فقال له أبي: اقتص ثم قال: كنا معشر بني مقرن سبعة ليس لنا خادم إلا واحدة فلطمها أحدنا فقال النبي ﷺ «**أعتقوها**» فقيل له ليس لهم خادم غيرها قال: «**لتخدمنهم، فإذا استغنوا عنها فليعتقوها**»[(٣)].

وقفة وتحليل:

قال لي رجل كبير السن من عقيل ممن تغربوا في طلب الرزق في

(١) صحيح مسلم ٤٢٧٢.
(٢) صحيح مسلم ٣١٤٢.
(٣) مسند أحمد ٢٢٦٢٣.

obeikandl.com

العراق والشام ومصر: تمنيت أني دفنت قبل أن أرى أفواجًا من النساء يقدمن إلى بلدي في طلب الرزق؛ لقد كنت أرفع هامتي وصوتي بين الناس متفاخرًا بجولاتي وصولاتي في طلب الرزق مغتربًا عن بلدي، ولم أدر بأن النساء سيسلكن يومًا نفس الطريق، ليقفن بذات الموقف، ويقمن بنفس الدور، ويعشن نفس الظروف.

فالمرأة التي تسافر وحدها وتخاطر بحياتها الصحية والنفسية قد تتعرض لمتاعب كثيرة لم تكن في حسابها مثل طبيعة التعامل ونوعية الخدمة والعادات وطبيعة البشر الذين ستعمل على خدمتهم وغيرها ممن يصعب على من أوتي صبر أيوب أحيانًا أن يعمل على خدمة بعضهم؛ لكون فئة من الناس بعيدة فعلاً عن القيم الأخلاقية والجوانب الإنسانية، وتنظر لهذه الخادمة بمنظار الدونية، ويتعاملون معها على هذا الأساس.

علمًا بأن الخادمة التي قطعت تلك المسافات، وتحملت تلك الأحمال الثقال التي ينوء بحملها كثير من الرجال أفضل بكثير من بعضنا إن لم يكن من معظمنا؛ ناهيك أن بعض الخادمات في بعض الأحيان في مستوى أخلاقي عالي كما تكون مؤهلة علمًا وثقافة أكثر ممن تعمل على خدمتهم، ويكفيها فخرًا بأنها قطعت هذه المسافات، وضحت بعواطفها وراحتها من أجل كسب لقمة الحلال، وربما تعرضت لمضايقات ومتاعب كثيرة ولكنها صبرت من أجل أن تحقق ما جاءت من أجله في مواجهة كل الرياح المعاكسة.

ومثل هذا يجعلنا نفكر بحجم التكلفة التي تدفعه الخادمة في سبيل لقمة العيش الهنيئة لنحسن من تعاملنا معها، ونفترض أننا تعرضنا لمثل

ظروفها، واضطرتنا الحياة أن ندفع بأمهاتنا وزوجاتنا وبناتنا للعمل في بلاد بعيدة وبيوت مجهولة.

ويجدر بنا ألا نستبعد ما تحمله متغيرات الحياة أو نتصور أننا في منأى من كدرها أو نتصور بأننا لن نقبل بالتسليم وإرسال فلذات الأكباد إلى بلاد غريبة، أسأل الله ألا يمتحن ضعفنا، وألا يجعلنا في ظرف نقتنع ونؤمن بما كنا نرفض تحت وطأة الظروف الصعبة ومخالب الحياة، ووطأة الحاجة التي يستسلم الإنسان لها، ويؤمن بأفكاره، ويتنازل عن قيم واعتبارات لم يكن يصدق أنه سيؤمن، ويقبلها يومًا ما، ولكنه يعلل نفسه أن استسلامه لمثل هذا العمل أفضل من تنازلات أخلاقية أو أمور تمس الشرف والكرامة.

ومع الثناء العطر على كفاح الخادمة يبقى السؤال حول جواز سفرها وعملها بدون محرم سؤالاً يحتاج إلى إجابة شرعية دقيقة.

رأي العلماء حول عمل الخادمة في البيوت:

في الزمن الماضي عملت الأمة في موقع الخادمة وفي صميم مهنتها قبل الإسلام وبعده، وسعى الإسلام إلى تحرير الرق والترغيب فيه وإعلان فضل الإعتاق والأجر والثواب لمن يقدم على هذا العمل، ثم بالكفارات المتنوعة التي يأتي في مقدمتها إعتاق رقبة.

ونظم الإسلام عمل الجارية داخل البيت كيف تعمل، وكيف تتحرك، ومتى تستأذن؛ ولعل الخادمة تشترك من حيث طبيعة المهنة في هذا الإطار الذي يصون العاملة من حيث الجوانب الخدمية والدينية.

وبالنسبة لجواز عمل الخادمة في البيوت فعلماء الجزيرة العربية الذين قرأت لهم قالوا بأنه لا يجوز عمل الخادمة في البيوت إلا للحاجة مع وجود محرم، واستدلوا بالحديث الوارد عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا يخلو رجل بامرأة، ولا تسافر إلا ومعها محرمٌ**»، فقام رجل فقال يا رسول الله، امرأتي خرجت في حج، واكتتبت في غزوة كذا وكذا قال: «**ارجع فحج مع امرأتك**»(١).

مع مراعاة الضوابط الإسلامية من حيث الحفاظ عليها وصيانة حقوقها والتعامل معها.

وبعض العلماء أورد شروطًا محددة لجواز عمل الخادمة في البيت منها وجود محرم، وألا يخشى صاحب الشأن الفتنة على نفسه، أو على أولاده، أو أحد المقيمين معه في البيت مع إلزامها بالحجاب الشرعي وعدم الخلوة بها وعدم السماح لها بخدمة الرجال والتكشف لهم والاستدلال بحديث الرسول ﷺ الذي رواه ابن عمر وجاء فيه «**لا يخلو أحدكم بامرأة، فإن الشيطان ثالثهما**»(٢).

وذهب إلى هذه الفتوى عدد من العلماء على رأسهم فضيلة الشيخين الجليلين ابن باز وابن عثيمين – عليهما رحمة الله – وهو الرأي الذي تطمئن إليه النفس حيث يؤكد على وجود محرم مع الخادمة في ظل الالتزام بالتحجب وعدم الاحتكاك المباشر مع الرجال

(١) رواه البخاري، الجهاد والسير ٣٧٨٤.
(٢) مسند أحمد ١٠٩.

obeikandl.com

أو في خدمتهم، مع وضع مكان آمن خاص بجلوسها ونومها مشمول بمواصفات وقائية متميزة، توفر المناخ الآمن لها وعليها.

حتى لو أجاز أحد المجتهدين عمل الخادمة في البيت بدون محرم فربما أجاز ذلك للضرورة إذا أمنت المخاطر والفتنة والضرر على الخادمة، مع التأكيد على الضوابط الخاصة بوجود مكان آمن لنومها، وجلوسها، وعدم الاختلاط بالرجال، والالتزام بالحجاب، ومن الممكن أن المقصود بالترخيص الوقت الجزئي الذي مهما طال لا يشمل المبيت.

ولا يمكن مقارنة الخادمة بالأمة المملوكة إلا إذا كانت المقارنة في طبيعة العمل وحدوده فلا بأس، أما إذا كانت المقارنة لغرض تشريع وإجازة عمل الخادمة في البيت بدون محرم فإنه لا يمكن القياس على ذلك؛ لاختلاف علاقة ورابطة كل منهما برب البيت؛ فالخادمة أجيرة في حين أن الأمة مملوكة؛ وبينهما فرق كبير، خاصة فيما يتعلق بجواز نكاح الأمة وجواز أن تكون زوجة لسيدها وغيرها من الأحكام التي يطول شرحها – والله أعلم –.

المكاتب الخاصة باستقدام الخادمات:

في ظل الظروف الجديدة التي أفرزت حياة مترفة ومناخًا يساهم في استقدام الخادمات للعمل في البيوت مما استدعى معه وجود من يقوم بالمساعدة على جلب الخادمات من بلادهن حسب المواصفات المطلوبة.

وعلى هذا الأساس تم افتتاح عدد من المكاتب الخاصة التي تتولى

هذه المهمة حسب الضوابط والاتفاقيات التالية:

المدة التي يتعهد خلالها المكتب بإحضار الخادمة:

يلتزم المكتب عادة بمدة محددة لإحضار الخادمة من بلدها، ولكن هذه المدة قد تطول عن المدة المتفق عليها؛ لأنها تخضع لإجراءات نظامية جديدة أو وقتية أو دائمة.

كما أن المدة تخضع أيضًا لجدية المكتب المتفق معه على إحضار الخادمة ومصداقيته، وكثيرًا ما تحدد الكاتب مددًا قصيرة ولكنها لا تلتزم بها لحجج كثيرة مثل وجود أزمات اقتصادية أو سياسية أو ظروف بيئية ومناخية في بلد المستقدم منه أو اختلاق مشاكل وهمية وربما التبرير أنها جاءت، ولكنها ليست حسب المواصفات فتم إعادتها أو أن المكتب هناك أخطأ في الاختيار فطلب منه البحث عن بديل، وهكذا دواليك أعذار محبوكة ومرتبة أكل عليها الدهر وشرب، ولا يعني هذا عدم وجود مكاتب جدية وصادقة ولكن المعول عليه بعض التجارب القاسية التي يمر بها المحتاجون للخادمات والتي تتكرر حاجتهم لها كل عامين في أحسن الأحوال.

الضَّمان لصالح الخادمة والكفيل:

يلتزم المكتب في بلد الخادمة بضمانات معينة شفهية للخادمة غير مدرجة في العقد أحيانًا، ولكن مثل هذه الامتيازات تتبخر ويتضح أنه لا أصل لها مثل العمل في مدينة بذاتها أو تأدية الحج والعمرة.

وبنفس الوقت تلتزم المكاتب في بلد الكفيل بكون الخادمة وفق

المواصفات وبصلاحها للعمل، ولكن تذوب أحيانًا هذه الالتزامات والضمانات بمجرد استلام الخادمة من المكتب وتصبح كأن لم تكن حتى إن بعض المكاتب تتنصل من الضمان بصفة قطعية بحجج تدفع صاحب الشأن إلا التسليم والقبول بالواقع مهما كان مرًا.

الشروط والمواصفات:

المواصفات تركز على الشكل من اللون، والطول، والعمر، وصاحبة المؤهل، والمجيدة للغة الإنجليزية، والتي تحمل مهنة الخياطة، أو تلك التي تملك القدرة على صناعة الشعر وتجميله وصفه وتقليمه (كوافيرة)، أو القادرة على ممارسة الطباخة الماهرة أو القادرة على إعداد الطعام بطريقة جيدة أو غير المتزوجة أو التي ليس لها أولاد وكذلك تحديد البلد والراتب وبعض الشروط الصالحة للأطراف الثلاثة.

المكاتب في بلد الكفيل وبلد الخادمة:

المكاتب القائمة حاليًا في معظم دول الخليج تعتمد بشكل أساسي على مكاتب أخرى في بلد الخادمة، ومثل تلك المكاتب لها وضعية خاصة ولها نظرة قاصرة أحيانًا للمستقبل والتضحية بجزء يسير من المال في سبيل الالتزام بالشروط المتفق عليها، وكثيرًا ما يشكل هذا المال جاذبية يسيل لها اللعاب لعدد من المكاتب في تلك الدول أهم من الالتزام بالشروط والمواصفات المطلوبة.

وضعف الالتزام بالاتفاقيات والشروط المندرج تحت تلك السياسة نابع من قلة الوعي التجاري الذي يرتكز على الاستمرارية، وخلق ثقة

دائمة تجذب الزبائن؛ فإذا كان التاجر يدفع من رصيده مالاً لتحسين سمعته وللدعاية لتجارته فالأولى أن تستغني المكاتب عن جزء من التركيز على الناحية المالية فقط لتحقيق التزاماتها؛ لأنه هو المكسب الدائم الذي يحفظ للمؤسسة استمرار وجودها وقوتها.

ومن الاعتبارات المهمة ضمان تكلفة المواطن في حالة رفض الخادمة العمل لديه، وعدم وجود إمكانية لعملها في مكان آخر؛ بسبب رفضها القطعي للعمل بحيث يقوم المكتب في بلدها مع المكتب في بلد المستقدم متضامنين بدفع هذه التكلفة.

تتضمن الشروط الموضوعة في مكاتب بلد الخادمة بعض الشروط التي يصعب الوفاء بها أحيانًا، وهي المتعلقة مثلاً بالحج وذلك بسبب إشكالية وجود محرم؛ التزامًا بالفتوى حول ذلك، أما البعض من المعنيين فإنه يرسلها مع مجموعة مماثلة في رفقة مأمونة لتأدية الحج والعمرة أو يصطحبها معه ومع أهله إذا سنحت له الظروف، وزار تلك الديار الشريفة.

يقوم عدد من المكاتب المتخصصة بإحضار خادمات للعمل فترات محدودة مع المحتاجين، وتعتبر في رأي كثير من الناس تجربة تستحق المتابعة متى ما اعتني بها بطريقة أفضل، ووضعت لها الأنظمة والضوابط التي تهتم بحقوق كافة الأطراف: المكتب، الخادمة، الأسرة، مع الأخذ في الاعتبار تنظيم ما للخادمة، وما عليها، وصيانة حقوقها، والمحافظة عليها ضمن ضوابط شرعية مناسبة وآمنة.

الشروط التي يجب توافرها في الخادمة:

يلاحظ المتابع لعمل المكاتب المتخصصة التي تتولى وتتخصص في استقدام الخادمات تباين رغبات الناس في تحديد مواصفات بعينها وتفضيلها على غيرها لاعتبارات خاصة ويدخل في الشروط المطلوبة والمحددة عدد من المواصفات والشروط حسب ما يلي:

المظهر العام:

البعض من الناس يهتم بالجانب الشكلي والمظهري أكثر من غيره عند تحديد مواصفات الخادمة التي يسعى لإحضارها وتطغى عادة مثل تلك المواصفات المظهرية على المواصفات والمؤهلات الأخلاقية والعملية، أو تكون على حسابها، فيطلب الراغب في استخدام خادمة من المكتب أن تكون بيضاء أو سمراء أو نحيفة جدًا، وهذا تبعًا لحجم التفاهم المتبادل مع الزوجة حول مظهر الخادمة الذي يجب أن يكون مناسبًا وجذابًا أو يكون على النقيض من ذلك بحيث يكون أقل من العادي؛ حتى لا يدفع شكلها المغري إلى خلق متاعب كثيرة يفضل الزوجان الابتعاد عن آثارها وتبعاتها.

علمًا بأن معظم البيوت غالبًا ما تلبس الخادمة التي تعيش معهم لباسهم الموشح بالقيم والعادات والأعراف التي يعيشونها، ويلبسونها؛ ومن أبرزها الثياب المحتشمة التي تمثلهم عند وجودها معهم، فلو قدر لها أن أطلت من البيوت أو ظهر جزء من جسمها في السيارة فمن يعرف بأنها خادمة البيت التي لها مفاهيمها الخاصة.

مع التركيز على عدم السماح لها بكثرة الخروج أو استخدام الهاتف بطريقة غير جيدة، وربما بصفة نهائية؛ لأن مثل هذه المسالك

السيئة سينعكس على البيت، وسوف يترجم انفتاحها وتبرجها على أنه مؤشر على جو البيت مما يدفع مثل هذا التصور المعنيين بها إلى الاهتمام والعناية بها كثيرًا ناهيك على أنها أمانة مربوطة بأعناقهم، ويفترض فيهم المحافظة عليها، ورعايتها كالزوجة، والأخت، والبنت.

المؤهل والمستوى الثقافي:

يعتبر المستوى الثقافي والمؤهل مطلبًا مقدسًا لدى بعض البيوت المثقفة وخاصة تلك البيوت المفتوحة أو التي يكثر احتكاكها ومخالطتها لغيرها أو التي تبحث عن فائدة من خادمة قادرة على مساعدة الأطفال أو بعض أفراد البيت على استخدام اللغة الإنجليزية، وكثيرًا من أمثال تلك البيوت تشترط أن تجيد الخادمة اللغة الإنجليزية؛ حتى يسهل التخاطب معها، وربما استثمار ذلك في تدريب الأولاد على المحادثة وتحسين إمكانياتهم في المحادثة.

الديانة:

تفضل كثير من البيوت وجود خادمة في البيت مسلمة؛ حتى تطمئن على خلفياتها الدينية؛ لأن قلق كثير من الأسر نابع من الآثار التي تتركها الخادمة غير المسلمة وذلك بسب بوجود تجارب سلبية كثيرة خاصةً وأن وجود خادمة غير مسلمة من الطبيعي أن يؤثر على الأغصان الطرية، فيحركها باتجاهات غير سوية لا تظهر آثارها وتلمس نتائجها إلا بعد حين من خلال تأثر الأطفال بمعتقداتها ومفاهيمها الدينية المغلوطة سواء كان ذلك نابعًا من سعيها أو خارج سعيها؛ لأن تصرفها الطبيعي في المنزل المبني على أرضيتها الدينية يعلق

بأذهان الأولاد فربما قلدوها أو بقيت في أذهانهم نبتة تعوق قبول الخير بالسهولة المرجوة.

ولهذا يبذل الكثير جهودًا كبيرة للتأكيد على وجود خادمة مسلمة بالبيت عند تحديد المواصفات المطلوبة؛ حتى يكون الحصاد الإيجابي أكبر بكثير من الآثار السلبية.

وينبغي ألا نغفل عن أنَّ بعض الخادمات المسلمات أحيانًا لا يخلين من العلل، وخاصة فيما يخص الفهم السلبي لبعض الجوانب الدينية والتمسك بتصورات ومعتقدات خاطئة، وربما تكون غير متمسكة بالإسلام بطريقة جيدة أو أن تمسكها مبني على إبراز الشعار الديني فقط بحكم الوراثة أو لغاية الاستفادة منه كجواز عبور للحياة الرغيد في مجال السفر والعلم.

عمر الخادمة:

تتجاذب مميزات وعيوب عمر الخادمة ميول الناس؛ لأن الكثير منهم يعول على وجود خادمة نشيطة وخالية الذهن والفكر وغير مرتبطة بأطفال تنشغل بهم، وتقلق عليهم، أو يأكلها الحنين إليهم، فتصاب بدائه، كما أن وجود خادمة صغيرة بالبيت أيضًا له مساوئه ومتاعبه؛ لأن الخادمة الصغيرة قليلة التجربة والخبرة تكثر أخطاؤها بإراداتها أو خارج إرادتها.

وكذلك الحال بالنسبة للخادمة كبيرة السن فإنها بطيئة في إنجاز عملها وأكثر من غيرها عرضة للأمراض مما يجعلها مخدومة أحيانًا من قبل العائلة التي تقيم معهم.

ومن هنا فإن أغلب الناس – بعد عدة تجارب – أخذوا يفضلون الخادمة متوسطة العمر؛ لعلهم يحصدون إيجابيتها فقط، فينعمون بالنشاط، والحيوية، والقدرة على التكيف السريع، ويبتعدون عن سلبياتها التي سبق ذكرها، وإن كان البعض منهم يغض الطرف لعيوب الصغيرة أو الكبيرة عند اختيارها لاعتبارات كثيرة يصعب شرحها.

تحديد الجنسية:

بحكم تجارب الناس الطويلة في التعامل مع الخادمات أصبح لبعض الجنسيات تميز أكثر من غيرهن بالصبر وإنجاز العمل بسرعة والتنظيم وقلة المشاكل مما دفع الكثير بحكم هذه الخبرة لاختيار تلك الجنسيات، وتفضيلها على غيرها عند الاختيار.

علمًا بأن بعض الناس يصر على اختيار جنسيات بعينها لاعتبارات أخرى تتعلق بالديانة أو انخفاض الراتب ولا ننسى أيضًا بأن معظم البيوت يسعى إلى اختيار الخادمة التي تقترب عاداتها ومناخ حياتها من البيئة الاجتماعية التي ستعمل فيها متنازلين عن بعض المواصفات الأخرى؛ طمعًا في سهولة الاندماج وقلة المتاعب.

اللغة:

مع بدايات التنمية كان التركيز على جانب الخادمات من الدول العربية لاعتبارات كثيرة من أهمها الديانة، وسهولة التخاطب، ولكن مثل هذه الأبواب أوشكت على إغلاقها نهائيًا إن لم تكن أغلقت فعلاً من قبل الناس لصعوبة وجود خادمة مناسبة في تلك الدول،

ترغب بالابتعاد عن أسرتها ثم أن فارق الراتب المدفوع بالنسبة للخادمة القادمة لا يغري بالاغتراب؛ لوجود فرص وظيفية للخادمات في بلادهن أكثر جاذبية واستقرارًا حيث يجدن رواتب مجزية تجعلهن لا يفكرن مطلقًا بالسفر، لا سيما إذا أخذ بالاعتبار أن العادات الموجودة في تلك البلاد ما زالت تؤثر على تغريب المرأة بمفردها بجانب أن طبيعة المهنة غير محببة عند الكثيرات؛ لأن المجتمع ينظر أحيانًا إلى العاملة في البيوت نظرة دونية أو غير جيدة، ولذلك فإن بعض العاملات في مجال الخدمة في البيوت يبذلن جهودًا كبيرة في إخفاء عملهن في مثل هذه المهنة وخاصة عن المحيطين بهن.

ولا ننسى أن الحافز الجيد للبحث عن خادمة عربية هو بذاته الحافز عن البحث عن غيرها؛ لأن اللغة المشتركة بين الخادمة والمخدوم تشكل عملة تحمل وجهين، وتفرز أحيانًا متاعب مشتركة للأسرة وللخادمة معًا يطول شرحها وخاصة أنه يصعب تناول شؤون الأسرة الخاصة بطريقة واضحة طالما يوجد شخص غريب يخشى أن ينقل ما يسمع للآخرين.

مستوى الراتب:

يغلب على الخادمات اللاتي يحصلن على رواتب منخفضة انتماؤهن لدول تعيش في ظل ظروف اقتصادية ضاغطة تسيء إلى درجة التحضر وإلى وجود فرص وظيفية وهذا يسهم إلى حد ما في انخفاض رواتب الخادمات، ويساعد في درجة تكيف الخادمة وتعايشها

في ظروفها الجديدة، ولا أحد يشك في أن تدني مستوى راتب الخادمة يغري الراغبين في التعاقد معهن في ظل المنافسة مع الخادمات اللاتي يطلبن رواتب عالية.

وغالبًا فإن مستوى تحضر الدولة له دخل أساسي في انخفاض أو ارتفاع مستوى الراتب، وله علاقة مباشرة في قوة وضعف إلمام الخادمة بمهام عملها، وبنفس المستوى على استيعابها وإدراكها لواجباتها وللحياة الأسرية على المستوى المتحضر المناسب.

ويلجأ أغلب الناس لاختيار الخادمة من بعض البلاد لأسباب أخرى، ليس فقط لصعوبة قدرتهم على دفع رواتب مرتفعة؛ بل لاعتبارات دينية وأخلاقية مع العلم بأنه يوجد خادمات من تلك البلاد الأقل فرصًا وظيفية أفضل بكثير من الخادمات في بلاد أكثر تحضرًا وتوجد شواهد كثيرة يطول بنا المقام لسرد شيء منها.

obeikandl.com

obeikandl.com